لم يعد خافيا علي أحد مقدار المعارضة التي واجهت سياسات وشعارات رئيس الوزراء الاسرائيلي - بنيامين نتنياهو - خلال الفترة القصيرة التي تولي فيها السلطة في اسرائيل، والتي تقل عن ثلاثة شهور، وهي معارضة لا نحسب انها قد واجهت اي مسئول قبله سواء في اسرائيل او في غيرها من دول العالم. فمنذ اليوم الاول لتولي السلطة واجهت نتنياهو معارضة قوية داخل اسرائيل وخارجها، ففي داخل اسرائيل واجهت نتنياهو معارضة - لا يمكن إسقاطها من الحساب - من حزب العمل، ومن حركة السلام الآن، ومن المواطنين العرب داخل اسرائيل، إلي جانب موقف واضح الدلالة من رئيس الدولة - عزرا وايزمان - وهو وان لم يكن موقفا صريحا في المعارضة بحكم موقعه علي رأس الدولة، إلا انه موقف له ايحاءاته الصريحة ومعانيه التي لا تخفي علي احد، فإذا اضفنا الي ذلك معارضة عدد غير قليل من اعضاء كتلة الليكود ذاتها، فإننا نستطيع ان نقرر بغير مبالغة او تجن ان اغلبية شعب اسرائيل ليست في جانب سياسات رئيس الوزراء الجديد.

اختيار السلام

وفيما يتعلق بالدول العربية التي تربطها باسرائيل علاقات دبلوماسية، فقد استطاع نتنياهو - خلال فترة لم تتجاوز ثلاثة شهور - ان يصل بعلاقات بلاده بهذه الدول الي حالة اقل ما توصف به انها حالة من «البرود» لم تصل اليها العلاقات في أي وقت منذ بداية عملية السلام حتي الآن، وقد اثرت هذه الحالة بطبيعة الحال علي امكانيات انضمام دول عربية اخري الي مصر والاردن في اقامة علاقات طبيعية مع اسرائيل، وهي العملية التي كانت قد بدأت بالفعل قبل وصول نتنياهو إلي السلطة بسرعة وصفها البعض بأنها هرولة..!! اما موقف الدول الاوروبية من سياسات نتنياهو وشعاراته، فقد تم التعبير في اكثر من مناسبة علي معارضة هذه السياسات بصراحة ووضوح تشهد به التصريحات الرسمية للمجموعة الاوروبية، والبيانات الرسمية الصادرة عن زعمائها، وهذه التصريحات والبيانات حددت موقف المجموعة من العقبات التي يقيمها نتنياهو علي طريق السلام، وصيغت - لأول مرة منذ قيام اسرائيل - في عبارات مباشرة ومحددة لا تحتمل اللبس او التأويل. حتي الولايات المتحدة الامريكية - الصديق التقليدي والحليف الدائم لإسرائيل - لم تستطع ان تخفي قلقها وعدم موافقتها، رغم الظروف الدقيقة التي يمر بها عادة صانع القرار في الولايات المتحدة قبل اسابيع قليلة من اجراء انتخابات الرئاسة الامريكية، والتي يحتاج فيها اي مرشح هناك لبعض «الغموض» وعدم التحديد في معالجة القضايا العامة، حتي لا يستغلها خصمه في المعركة الانتخابية. لكننا وجدنا - هذه المرة - موقفا اقل غموضا واكثر تحديدا من مواقف المرشحين الامريكيين. ولقد حاول رئيس الوزراء الاسرائيلي ان يستغل الشهور القليلة التي تسبق الانتخابات الامريكية في الحصول علي اكبر مكاسب ممكنة، الا ان الضغط الدولي قد صادر علي هذه المحاولات وحصرها في اضيق نطاق ممكن، وسيزيد الضغط بكل تأكيد بعد انتخاب الرئيس الامريكي الجديد. لذلك فان التحليل الموضوعي للموقف الاسرائيلي يدل علي ان نتنياهو سوف يضطر - مع بداية العام الجديد - الي فض الائتلاف الحالي مع الاحزاب الدينية الصغيرة، والدخول في تحالف مع حزب العمل المعارض، وهو ما يحقق له اغلبية «مريحة» داخل البرلمان الاسرائيلي من جهة اخري. واذا كانت سياسة نتنياهو قد افقدت اسرائيل كثيرا من التأييد «التقليدي» الذي كانت تتمتع به من قبل، فإن ذلك يعني - في ذات الوقت - مزيدا من التأييد للسلطة الفلسطينية، وهو ما ينبغي ان يستغله الفلسطينيون بحكمة وتعقل حتي يقطعوا الطريق امام اعداء السلام، وان يستثمروا الموقف الدولي لصالحهم. ولقد اثبتت تجربة نتنياهو في الحكم - علي قصرها - ان السياسة ليست «لعبة» في ايدي المغامرين او الهواة، لكنها تعتمد علي الخبرة اولا، وعلي الدراسة والتحليل للموقف المحلي والدولي ثانيا، لذلك فإن الشعارات قد اضرت باسرائيل اكثر مما افادتها، بل ان المستقبل السياسي لنتنياهو نفسه قد اصبح مشكوكا فيه بعد الانتصار الزائف الذي حصل عليه في الانتخابات الاخيرة. ومن الطبيعي ان يحاول نتنياهو تحقيق بعض النجاح لسياساته وشعاراته، لكنه سوف يتبين في النهاية انه لا يستطيع ان يواجه - وحده - ارادة شعبه وارادة العالم بأسره، وان عليه ان يقبل باختيار السلام.

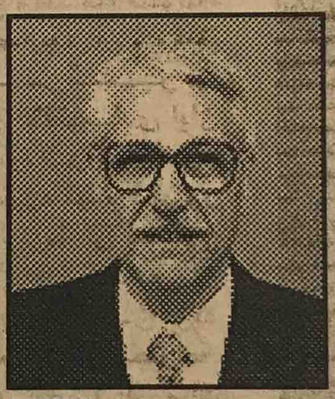

بقلم :

أحمد طلعت